

تعريف الحفائر وأنواعها مقدمة: إن الحفائر هي كل الأعمال التي يقوم بها الإنسان من نبش و تنقيب في الأرض من خلال تخريب الطبقات الترابية و الصخرية للبحث عن الأشياء التي تلبى رغبته. و قد تختلف هذه العملية حسب الغرض، الوسائل و المناهج المستعملة. و قد تنفذ هذه المرحلة بصفة ممنهجة كما قد يلجئ إليها الإنسان بشكل فوضوي باستعماله وسائل غير مناسبة. الميادين التي تعتمد على الحفر مختلف منها المناجم، المحروقات، الفلاحة، البحث عن المياه، التعمير و كذلك البحث العلمي (البحث الأثري) على سبيل المثال. فكل هذه العمليات تعتبر عمليات تخريبية لسطح الأرض و المساس بالطبيعة. فعلم الآثار بوسائله و مناهجه يحاول أن يحافظ قدر الإمكان عن الحالة الأولية للمواقع الأثرية عاملاً بمبدأ احترام الطبيعة و حق الأجيال القادمة. سوف نحاول أن نقدم تعريف بسيطة للحفائر الأثرية و أنواعها من خلال هذا المقطع. يطلق مصطلح لحفريات على أعمال الحفر التي يقوم بها علماء الآثار في الحقل الأثري لاستخراج التحف و اللقى و البقايا الثرية المدفونة تحت الأرض، و تتم هذه العمال بطريقة منتظمة و ممنهجة تختلف عن أي أعمال حفر أخرى، وهي الأسلوب و المنهج العلمي للبحث عن الآثار، بهدف استخراج و استخلص الآثار من باطن الأرض، و تسجيل أوصافها و أشكالها و المحافظة عليها و ترميمها لاستنباط التاريخ منها، و إلقاء أضواء جديدة على الحضارة الإنسانية الماضية و تطورها، باعتبارها شاهداً مادياً لها. و انطلاقاً من هذا التعريف يتضح الفرق الشاسع بين أعمال الحفر غير الأثرية و الحفر الذي يعتمد على منهجها و وسائل ملائمة وفق طرق علمية كالبحث في ميدان علم الآثار . - كثيراً ما تقوم مؤسسات عامة و خاصة بأشغال حفر خاصة بالبناء أو شق الطرق أو : (fouille de sauvetage) الحفريات الإنقاذية غيرها ، أثناء أشغالها تلك أثاراً مطمورة في التراب، وفي هذه الحالة يصبح من الواجب على هذه المؤسسة أن توقف أشغالها و تبلغ السلطات المعنية بحماية الآثار، و هذه الخيرة تقوم بالاتصال بالجهات المعنية. التنظيم المعمول به حالياً في الجزائر هو أن أي مشروع حفر ينبغي أن تجتمع على مستوى البلدية المعنية بالمشروع لجنة و أعضاء آخرين من مديرية الثقافة، فيتم معاينة الموقع للترخيص بمواصلة الأشغال أو تأجيلها. فأحسن مثال نقدمه حول هذا النوع من الحفر هو أشغال محطة ساحة الشهداء بالجزائر العاصمة لمترو الأنفاق و البقايا الأثرية المعمارية مطمورة على شكل ثلاث طبقات تحت الأرض. فإذا تبين أن الموقع يحتوي على مخلفات اثارية فيجب على المؤسسة القابلة على الأشغال أن تبلغ السلطات المعنية ، و الإجراءات اللازمة للحفريات العلمية من المعلوم أن مشروع بناء أو حفر يجب أن تدرسه لجنة يحضرها (fouille de sauvegarde) : المبرمجة. - الحفريات الوقائية ممثل مديرية الثقافة لدراسة المشروع و معاينته الميدانية للموقع لكي يتأكد من وجود بقايا أثرية بالموقع و عدم وجودها. فإذا تأكد من وجودها، عندها يكون ملفاً حول هذا الموقع و يقدم إلى الوزارة الوصية و التي بدورها تبرمج حفريات وقائية، و الفرق بين هذا النوع من الحفريات و النوع السابق، النوع الأول قد مست أجزاء الموقع ، بينما في النوع الثاني لم تنطلق بعد الأشغال، و لذلك تسمى تتم هذه الحفريات عبر خطوات : (fouille organisée et programmée) الحفريات فيه وقائية. - الحفريات المنظمة أو المبرمجة يجب على الباحث الأثري المكلف بها و فريقه المرافق له أن يتبعوها، وهي أن يحضر ملفاً اثرياً حول الموقع من خلال المصادر و المراجع التاريخية، و الخرائط و الصور الجوية، و جمع كل الدلائل و القرائن التاريخية و الثرية المتعلقة بالموقع، و يحدد الأعضاء المرافقين له، و يقدم هذا الملف إلى وزارة الثقافة التي تقوم بدراسته و الفصل فيه، وفي حالة الموافقة يتم تحديد الجهة المسؤولة على تموين الحفريات بميزانية محددة، ثم يقوم صاحب المشروع بتوفير الإمكانات المادية اللازمة للقيام بالحفريات من وسائل الحفر و الرسم و المأوى و وسيلة النقل و حماية و غير ذلك. - 2 الحفريات في البحار و تحت المياه: لقد عرفت الحفريات تحت مائية في أوروبا منذ فترة طويلة، و الإفريقية، بالرغم من أن الكثير من السفن تحطمت على شواطئ و عرض البحر في المياه الإقليمية لهذه البلدان، كما أن موانئ العصور القديمة ل تزال غارقة في المياه، و قد حدثت بين الحين و الآخر اكتشافات عرضية لها، كما حدث . نقصد بالحفريات العشوائية أعمال التنقيب التي أجراها بعض الباحثين الفرنسيين دون أن تتم وفق أسس علمية دقيقة، حيث أهمل فيها التسجيل العلمي و الجرد الأثري للمكتشفات الثرية، و تم الخلط بين اللقى و جمعت في أكياس ثم وضعت في المتحف للعرض أو الخزن بطريقة فوضوية، فلم يميز بينها برموز و علامات تدل على مكان العثور الأصلي لها، على الرغم من أن معرفة هذا المكان يعد أمراً ضرورياً في التفسير و التحليل التاريخي و الأثري للموقع.